إلى الشيخ اللغوى ... و (فهلوه)

الوظيفة والموظفون

للأستاذ علي الطنطاوي

اعلم — أعزك الله — أن الوظيفة ليست غُلاًّ في العنق، ولا قيداً في الرجل، وليست مقايَضة أو مُبادَلة، آخذ فيها الوظيفة[1] باليمين، لأعطي الوجدان بالشمال؛ ولو أنها كانت كذلك، لعزفت عنها واجتويتها، ونفضت يدي منها، ولآثرت أن أبيع خزانة كتبي كرّة أخرى، أو أقضي وأسرتي خَمْصاً، على أن آكل خبزي مغموساً بدم الضمير . . . وعلى أن أكفر بالفضيلة، وأومن بالمصلحة، فأزن كلّ شيء في الدنيا بميزان صنجاته الدنانير، وأبصر كلّ ما في الكون من ثقب القرش، وأفكر إذ أفكر بعقلي الذي في كيس نقودي، لا بعقلي الذي في رأسي، فأختزل المنطق كله في قضية واحدة، هي الأولى والأخرى، وهي الحق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهي الكتاب المعجز الذي لا يُفرّط فيه من شيء، ولا يعجزه شيء، فيكون المنطق كله هذه القضية: تحصيل المال واجب، وفي هذا الأمر تحصيل مال، فهذا الأمر واجب . . وضعْ مكان (هذا الأمر) ما تشاء من أفعال اللؤم والخسّة، والكذب والنذالة، والضعة والفسولة، تنتظم القضية وتستقم، وتصح وتطرد . . . . ولا يبقى في الدنيا رديء، ولا فاسد، ولا منكر، ما دام معه المال!

لا — يا سيدي — لست أسلك هذه الطريق التي لا أزال أحذّر منها من لم يسلكها، وأصرف عنها سالكيها، وإن كان السالكوها هم الكثرة من موظفينا وعلمائنا، ومن كل ذي وظيفة، أو صاحب صلة بالحكومة، حتى أن الرجل من هؤلاء ليأتي الأمر يعترف أنه مؤذٍ للأمة، مُنافٍ للفضيلة، مناقضٌ للشرف، فيحتج له بأن مصلحته تقتضيه، ومعيشته تستلزمه، وإنه رجل (عاوز يعيش . .) ولا يعيش من لا يساير وينافق، ويَذِلّ ويَتزَلّف، لا يدري الجاهل أن المعيشة على الصَّعْتَر مع الشرف، خير من حياة النعيم والترف، من غير فضيلة ولا شرف!

(١) الوظيفة هي الراتب، والتوظيف تعيين الوظيفة، وإذا نحن أطلقنا الوظيفة على العمل نفسه فإنما نتبع في ذلك العرف السائد

* * *

ومن أنبأك — أعزك الله — أن الموظف لا يحق له أن يفكر إلا بعقل رؤسائه، ولا يرى إلا بعين أمرائه، فلا يحقق من الآراء ما أبطلوا، ولا يقبل ما ردّوا، ولا يوقر ما سفّهوا، ولا يرى ما استقبحوا حسناً، ولا ما كتموا ظاهراً، ولا ما صغّروا كبيراً، ولا ما عظموا حقيراً؟ أو لو كان رؤساؤه مخطئين، أو لو كانوا لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون؟

ومن ذا حظر عليه ما أبيح للناس، ومنعه ما منحوا من حرية التفكير، وحرية الرأي، وحرية القول، ولماذا يشتهي من الطعام ما يعافه رئيسه، ويستحسن من أبيات الشعر وأصوات الغناء ما يستهجنه ويستثقله، ولا يكون عليه في ذلك من حرج، ثم لا يتخذ له من الآراء غير رأيه، ومن المذاهب غير مذهبه؟ ولماذا لا ينشر هذ الرأي، ويؤيد هذا المذهب، ما دام لا يأتي محرماً في الشرع، ولا ممنوعاً في القانون؟ ..

والوظيفة — يا سيدي — عَقْدٌ بين الدولة والموظف[1]، على أن يعمل عملاً بعينه، على جُعْلٍ بذاته، أفهل يعمل الأجير في الدكان، والعامل في المصنع، والنادل في الفندق، والخادم في البيت، وكلّ مأجور من الناس في عمل جلّ أو قلّ، علا أو سفل، فإذا أكمل عمله وجوّده، استحق الأجر، وانطلق حراً في وقته، يقضيه على ما أحب، حراً في ماله ينفقه على ما شاء، حراً في رأيه ينحو به النحو الذي أراد، ويسوقه المساق الذي اختار . . . ثم لا يكون الموظف حراً أبداً، ولا يملك من أمر نفسه شيئاً؟

وماذا عليّ وأنا مدرس إذا أنا أعددتُ درسي وألقيته، وقرأت وظائف تلاميذي وصحّحتها، وفعلت كل ما يوجب عليّ القانون أن أفعل وزدت على الواجب النوافل، أن أؤلّف وأكتب، وأنتقد الأخلاق والكتب والعادات، وأساهم في الجهاد الاصلاحي، وأحمل القسط الذي أطيقه من أثقال الأمة، ومن ذا يحمله إذا لم أحمله أنا وأمثالي من الموظفين والمتعلمين؟ وكيف تتقدم الأمة وتسير في طريقها إلى غايتها، إذا لم تجد من أبنائها من يحمل أثقالها؟

أفهل يريد سيدي — أعزه الله — أن أمحو ملكة الكتابة

(١) لست أعني العقد الاجتماعي، نظرية روسو المعروفة، فذاك شيء قد سقط اليوم من قائمة العلوم ودخل في سجل التاريخ

من رأسي ، وأطمس نور البصيرة من قلبي ، وأسدل على عيني حجاباً حتى لا أرى فأمرّ فأشكر ، أو أبتئس فأنقد ، وأهجر الكتب حتى لا أقرأ فيفتح عليّ الكتاب طريقاً إلى مقالة ، وأتنزّل الناس حتى لا أسمع حديثاً فأكتب هذا الحديث ، أو قصة فأدوّن هذه القصة ، وأدل على مكان العبرة منها ، وموطن العظة فيها ؟ أفهل يريد سيدي أن أذهب إلى غار في الجبل فأحبس نفسي فيه كيلا أكتب فأزعج حضرته ؟

أوهل توجب الوظيفة على صاحبها أن يكون عبداً لرؤسائه ، مسخراً لأغراضهم ساعياً في مصالحهم ، ولو كانت الطريق إلى إرضائهم طريقاً ملتوية معوجّة لا يسلكها رجل يعرف ماهي الفضيلة ، ويدري ماهو الشرف ؟

وهل توجب الوظيفة على الموظف أن يكون مبتوراً من جسم الأمة ، فلا يشعر بشعورها ، ولا يألم لألمها ، ولا يحس أنه منها ، ولا يشاركها في شيء من عواطفها ، في حين أن المفروض في الموظف أنه من أرقى أبناء الأمة فكراً ، وأوسعهم اطلاعاً ، وأشدّهم شعوراً « بالواجب العام » ؟

أوهل يأخذ الموظفون رواتبهم من صندوق الأمة ، ثم لينالوا آمنين إذا هي خافت ، ويضحكوا فرحين إذا هي تألمت ، وينعموا قارهين إذا هي شقيت ، ويأكلوا مسرفين إذا هي جاعت ؟

كلا ! كلا ياسيدي ، فالموظف من الأمة وإلى الأمة ، وليس في البلد شعب وموظفون ، ولكنّ فيه شعباً واحداً ، يشعر بشعور واحد ، ويصدر عن مبدإ واحد ويسعى إلى غاية واحدة ، ولكن تعرف أنت هذه الحقيقة فتعمل بها ، أولى من أن أنزل أنا على رأيك ، وأخضع لارادتك ، فيما يؤذي الحقيقة وينافيها

كلا ! لقد انقضى ذلك العهد الذي كان الموظف فيه مسئولاً أمام رئيسه ، وأصبحنا اليوم وكلنا مسئولون أمام الأمة والتاريخ ؛ وليس هذا الراتب منحة منك حتى تمنّ به عليّ ، ولكن راتبك أنت منحة من الأمة ـ التي أنا من أبنائها تمن هي بي ـ عليك !

* * *

وبعد ؛ أفليس مما يجب على قادة الفكر ، وأرباب الأقلام ، أن يعرّفوا الناس حقيقة الوظيفة والموظفين ، وحق الأمة عليهم ، وأمل الأمة فيهم ؟ أوليس يجب عليهم معالجة هذه النواحي من أخلاقنا ، وبسط الكلام فيها ، وتحذير السالكين منها ، ومداواة المصابين بها ؟ . . .

علي الطنطاوي

الى الاستاذ محمد كرد علي

أغراض الاستشراق

للأستاذ محمد روحي فيصل

العجالة التي أسوقها اليوم إنما كتبت منذ عهد بعيد ، وهي كما ترى أو كما ستري تحكي أغراض المستشرقين الدينية والسياسية ، وتبين البواعث النفسية التي قام عليها تاريخ الاستشراق ، وتعدد ألوان التخاذل العلمي والوجداني التي خضعت لها هذه الطائفة منذ نشأتها الأولى ! ولقد كنت أريدها دراسة قوية مستفيضة موفقة تشرح ما تنوغر به صدور القوم من الحقد والوجدة ، وتفضح ما ألم بالقلوب من النزوات البشعة والاهواء المريضة ؛ وأذكر أني ما قرأت كلمة في هذا الصدد لكاتب من الكتاب الا اعتادني الحنين الى تكملة ما شرعت فيه قديماً ، واستئناف تبيان ما عميت أو تعامت عنه البصائر والأفهام

كان يعوقني عن ذلك أمران ، هما الدعامة التي ترتكز عليها أسباب الكتابة والنشر ، أولهما فقدان الصحيفة العربية الاسلامية الشرقية التي ترحب ببحوث كهذه التي نعتزم إذاعتها في الناس ، والتي تشجع الكاتب الباحث على المضي فيما أخذ به نفسه من الدراسة الحرة الخالصة ؛ وثانيهما غموض الحجة وهلهلة المنطق والتواء التاريخ للظهور على المستشرقين والتغلب على مزاعمهم ودحض آرائهم واثبات خطئهم ؛ فليس يكفي عندنا أن نتهمهم في ابمانهم ، ونبغضهم لغير سبب ، ثم نحمل عليهم ونرشقهم بقارص الكلام وعنيف السباب ؛ إذن لتجنينا عليهم فظلمناهم ظلماً كبيراً ، ولكانت دعوانا التي نتقدم بها عاثرة خاسرة !!

أما الصحيفة العربية الاسلامية فقد عثرنا عليها واهتدينا اليها ، و « الرسالة » السمحة لن تضيق أبداً بما تعتقد أنه الحق ، أو تتبرم بنقي ما غشي العرب والاسلام من ضمة الخطأ والعدوان ، وهي المجلة الراقية التي تعتز بالكرامة وتعتصم بالنبل ثم تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب على هدى وبصيرة ؛ وأما الحجة والمنطق والتاريخ فقد توفرت لدينا وأسلست عناصرها لنا